المحاضرة الثانية: الجماعة مفهومها.

الهدف من المحاضرة:

يعد الهدف الرئيسي لهذه المحاضرة هو التمهيد لمحاضرات مستقبلية لها علاقة بمصطلح الجماعة، وبالتالي الهدف هو كسب الطالب المعارف المتعلقة بهذا المصطلح من تعاريف للجماعة وكيفية تكوينها والشروط الاساسية لتكوينها اضافة الى التطرق الى عدة متغيرات اخرى لها علاقة بهذا المصلح.

1. تعريف الجماعة:

نجد مصطلح الجماعة متداولا بصورة شائعة في مجال علم النفس الاجتماعي، وبالتالي فإن هذا المجال يأتي من نظريات مختلفة وبالتالي فهو مزيج من النهج، أحيانا ما تكون متنافسة فيما بينها (Alain et 1999 p55).

Alain, كما توصف الجماعة على أنها "البيئة الطبيعية"، ولكن كثيرا ما أهملت كموضوع دراسة واستقصاء، ففي الفولكلور "نحن نتحدث دائما عن الجماعة، ولكن مجازا وهذا ما أكده "أنزيو و مارتن" Anzieu et Martin (1971).

(Alain et Alain, 2002 p22)

هناك العديد من التعاريف المرتبطة بالجماعة منها:

- ✓ حسب عدد من العلماء والمختصين في علم النفس الاجتماعي فالجماعة هي "وحدة اجتماعية تتكون من عدد من الأفراد لكل منه دوره الذي يقوم به في الجماعة، والجماعات أولية كالأسرة، وثانوية كالمدرسة والنادي...الخ" (عويس و الهلالي، 1997 ص176).
- ✓ يحدد فورسايث Forsyth (1983) الجماعة على أنها: "اثنين أو أكثر من الأفراد الذين يؤثرون في بعضهم البعض من خلال التفاعل الاجتماعي." ويمكننا أيضا أن نقول أن الجماعة هي في الأساس عبارة عن

مجموعة محدودة من الأفراد تتفاعل لتنفيذ مهمة أو لتحقيق أهداف مشتركة (Alain et Alain, 2002 p 24).

✓ يعتبر كمال الدسوقي في كتابه " ديناميكيات الجماعة في علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي" الجماعة عبارة عن: "وحدة اجتماعية تتكون من عدد من الأفراد يشغلون قليلا أو كثيرا علاقات مراكز، وأدوار محددة بالنسبة لبعضهم البعض، لديها جهاز من القيم والمعايير الخاصة بها، ينظم سلوك الأفراد الأعضاء فيها، على الأقل في الأمور التي تؤثر في الجماعة" (الدسوقي، 1969 ص30).

✓ في حين يرى "ايدوارد لامبر" Limbos Edward 1980 أن الجماعة عبارة عن: "جملة أفراد صغيرة نسبيا، تحوي أشخاص تجمعهم أهداف مشتركة، واعية ومحدودة ومحفزة لما لها من ارتباط القيم بهم وبتوقعاتهم، كما تجمعهم علاقات عميقة ومتماثلة .دون أدنى تحيز ولا رفض لبعض الأفراد المنتسبين للجماعة دون نسي عامل العشرة، التراث المشترك، والانتماء لنفس الماضي بتاريخه ومغامراته وذكرياته (Limbos, 1984 p08).

✓ ويعرف علي السليمي أن الجماعة هي" :عدد من الأفراد يتصلون يبعضهم بشكل منتظم، وبأسلوب مباشر غالبا خلال فترة من الزمن، ويتميز هؤلاء الأفراد بإدراكهم بأنهم يكونون جماعة مختلفة عن غيرها من الجماعات الأخرى (السليمي، 1971 ص278).

✓ وحسب محي الدين مختار تعتبر الجماعة: وحدة اجتماعية تتكون من مجموعة أولية، عدد الأفراد اثنان فما فوق، بينهم تفاعل اجتماعي متبادل" (مختار، 1982 ص240).

ومن خلال هذه التعاريف فيمكن أن نجمع خصائص للجماعة وهي:

- تتكون الجماعة من شخصين أو أكثر.
- وجود هدف أو مجموعة من الأهداف المشتركة تحقق الإشباع لبعض حاجات أعضاء الجماعة.
- تحوي ميول وقيم مشتركة، ومتفق عليها .

- وجود طريقة للاتصال وخاصة اللغة سواء كانت مكتوبة أو منطوقة.
- بها نمط تفاعل ثابت ومنظم ذو مستويين، مستوى محدد من خلال عمليات فعلية تخضع للملاحظة كالاشتراك والانتماء، ومستوى ضمني من خلال الشعور لتبعية الارتباط بقيمة أو قيم مشتركة.

2. تطور التفكير حول الجماعة:

لطالما كانت كيفية تعريف الجماعة والخصائص أو الأفكار التي نستخدمها موضع نقاش لسنوات عديدة، تم الاعتراف بأهمية الجماعة مثل العائلات ودوائر الصداقة، لكنها في الحقيقة كانت فقط في القرن الماضي أو ما إلى ذلك حيث تمت دراسة الجماعات علميا وتطويرها في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، حدد "إميل دوركايم" David Emile Durkheim كيف تختتم الهوية الفردية بعضوية الجماعة، وجادل "جوستاف لوبون" Gustave Le Bon بأن الناس تغيروا عندما انظموا الى جماعات مثل الحشود. سرعان ما بدأ علماء الاجتماع في امريكا الشمالية مثل "تشارز هرتون كولي" Charles Horton Cooley (1909) في وضع النظريات للجماعة عن كثب، وتبع ذلك آخرون حيث نظروا الى جوانب أو أنواع معينة من الجماعات مثلا معروفان هما اكتشاف "فريديريك ثراشر" F. Thrasher لحياة العصابات وأبحاث " ألتون مايو"George Elton Mayo (1933) حول العلاقات غير الرسمية بين العاملين في الفرق، وجاءت مجموعة أخرى من التدخلات الحرجة من "كورت لوين" Kurt Lewin (1948، 1951) الذي نظر الى الصفات الديناميكية للجماعات ووضع بعض المعايير المهمة فيما يتعلق بالطريقة التي ستتم دراستها. مع تطور الاهتمام بعمليات المجموعة وديناميتها وتسارعها (خاصة منذ الثمانينات)، استمرت الساحات الرئيسية لاكتشاف الجماعات، وبناء نظرية عنها، في كل من علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي، لكن انظموا إليها من خلال مساهمات من البيولوجيا والفيزياء والإدارة والدراسات التنظيمية والعلوم السياسية، بالإضافة الى محاولة فهم السلوك الانساني (بشقه، 2019 ص66-67) .

3. نظريات تكوين الجماعة:

ظهرت عدة نظريات تفسر الجماعات سنعرضها بإيجاز فيما يلي:

1.3. نظرية القرب:

ترى هذه النظرية بأن الشعور بالانتماء أو الرغبة في الانضمام للجماعة بتأثر بالواقع المادي للقرب أو الجوار، حيث تتكون غالبا من الأفراد الذين يعملون في منطقة جغرافية متقاربة، أو يعملون على آلة انتاجية واحدة وهكذا. ولقد أثبتت الدراسات الميدانية الحديثة على أن للتقارب المادي في العمل دلالات ومؤشرات أكيدة في تكوين هذه الجماعات، على عكس التباعد المادي للعمل الذي لا يشجع على خلق مقل هذه الجماعات (ساحلي، 2018 ص66).

2.3. نظرية "جورج هومانس":

تقوم هذه النظرية على ثلاث عناصر أساسية وهي:

– **الأنشطة:** وتمثل المهام أو التصرفات وأفعال الأفراد داخل الجماعة.

– **التفاعل:** ويمثل أنماط الاحتكاك بين الأفراد المختلفين عن طرق الاتصال فيما بينهم لإنجاز المهام داخل الجماعة.

–**المشاعر:** وتمثل الأحاسيس التي يشعر بها الافراد وتتولد لديهم أثناء الاتصالات وبها يدركون العالم المحيط بهم، وللمشاعر مظاهر مختلفة كالعطف والاحترام والمحبة والتفاخر والتودد وعكس ذلك كالعداء والخوف والكراهية...الخ

وتتفاعل هذه العناصر ببعضها البعض وبصورة مباشرة، مما ينجم عنها خلق تكوين حالات من الانسجام والتوافق والارتقاء بين الأفراد وتدعيمهم جوانب التعاون بينهم، مما تؤدي إلى تقليص صور التوتر والتفكك وتوفير حالات التماسك والانسجام بين الأفراد داخل الجماعة (ساحلي، 2018- ص 66-67).

3.3. نظرية الاتزان:

تقترن هذه النظرية باسم "ثيودور نيوكومب" Theodore Newcomb، وتقوم على افتراض أن انجذاب الأفراد إلى بعضهم البعض يستند على وجود الاتجاهات المشتركة بين الانجذاب وتكوين الأهداف المشتركة. ولا تهمل هذه النظرية عمليتي القرب المادي والتفاعل بين الأفراد وأثرهما في خلق درجة الانجذاب بينهم، ولذا فإن الاطار الأساسي في تكوين الجماعات يقوم على أساس الأهداف والاتجاهات المشتركة بين الأفراد (ساحلي، 2018 ص66-67).

3.4. نظرية التبادل الاجتماعي:

تقترن هذه النظرية باسم "بيتر بلاو" Peter Michael Blau ، وتقوم على مقارنة بين العوائد المتحققة للفرد جراء انتماءه ووجوده في الجماعة والكلفة المقترنة بذلك، إذ أن تبادل المنفعة للفرد مع الجماعة يعتبر الأساس في الانتماء. فكلما زادت العوائد المتحققة للفرد من جراء الانتماء كلما زادت سبل الانجذاب والتفاعل والمشاركة، وبالعكس كلما ضعفت العوائد المتوقعة من هذه العلاقة كلما ازدادت حالات التفكك في الارتباط الجماعي (ساحلي، 2018 ص68).

4. كيفية تكوين الجماعة:

اهتم علماء الاجتماع وما زالوا مهتمين بالتعرف على كيفية تكوين الجماعة ولا تستطيع التنبؤ بكيفية تكوين الجماعات بالضبط ولكن هناك نموذجين يمثلان تفكيرا منتظما لشرح كيفية تكوين الجماعات وهما: نموذج المراحل الخمس، ونموذج تأكيد التوازن ونشرحها فيما يلي:

1.4.نموذج المراحل الخمس:

كما ينمو الوليد خلال الشهور المبكرة من ولادته فقد أظهرت الجماعات نمطا خاصا من النمو والنضج ويصف هذا النموذج خمس مراحل متميزة من النمو التي تمر بها الجماعة كما سنشرحها فيما يلي:

1.1.4. مرحلة بدأ التكوين: يتعرف أفراد الجماعة على بعضهم البعض خلال هذه المرحلة كما أنهم يصنعون القواعد المقبولة منهم عن طريق التعرف على أنواع السلوك الوظيفي المقبولة من أعضاء الجماعة مثلا تحديد مستوى الإنتاجية المتوقع منه, وكذلك تحديد الأدوار التي يجب أن يلعبها كل عضو من أعضاء الجماعة ومن المتوقع أن يكون هناك مستوى من عدم الوضوح وعدم التأكد حول التصرف المقبول من الجماعة وحول القواعد التي تحكم الفرد من عضوية الجماعة وفور اعتقاد الأفراد أنهم أصبحوا أعضاء في الجماعة فإن هذه المرحلة قد انتهت.

2.1.4. مرحلة الاضطراب والاختلاف: كما هو من الاسم فإن هذه المرحلة تتميز بوجود قدر من الاختلافات بين أعضاء الجماعة وفي هذه المرحلة يرفض بعض الأعضاء سيطرة قائد الجماعة ويظهر بينهم الخوف والشك وإذا استمرت تلك الاختلافات انسحب الأعضاء فقد تحل الجماعة أما إذا انتهى النزاع وقبلت القيادة فإن هذه المرحلة تكون قد انتهت.

3.1.4. مرحلة تكوين المعايير: وفيها تصح الجماعة أكثر تماسكا وتطابقا وتصبح العضوية أثر تأثيرا وفي هذه المرحلة يشيع بين الأفراد علاقات أكثر قوة ودفئا ويتضح في هذه المرحلة اهتمام الأعضاء بإيجاد الحلول لمشاكلها وبداية ظهور بعض الحلول فعلا ويزداد في هذه المرحلة الشعور بالصداقة وبالمسؤولية عن مشاكل الجماعة أيضا وتنتهي هذه المرحلة عندما يقبل الأعضاء مجموعة من التوقعات المشتركة كطرق للأداء المقبولة بالجماعة.

4.1.4. مرحلة الأداء: يتم خلال هذه المرحلة حل المشاكل المرتبطة بالعلاقات بين الأعضاء وبقيادة الجماعة مستعدة للعمل، حيث أن الجماعة قد نضجت بالكامل فغنها توجه كل طاقتها لأداء وظائفها المتوقعة، ويساعد على قبول الأعضاء لقيادتهم والعلاقات الطيبة بينهم على تحقيق أفضل مستويات الأداء.

5.1.4. مرحلة التحلل: ربما انتهى وجود الجماعة لأنها حققت أهدافها ولم يعد هناك سبب لوجودها مثل ذلك الجماعة المؤقتة المشكلة لتنمية موارد لتمويل مشروع خيري، وهنا ينتهي وجود الجماعة مرة واحدة وفي

بعض الحالات قد تنتهي الجماعة على مراحل متتالية مثل انتهائها نتيجة لتناقص أعضائها أو انعدام تأثير المعايير في أعضائها (رفاعي وبسيوني، 2004 ص290).

جدول رقم01: "نموذج المراحل الخمس لتكوين الجماعة" (رفاعي وبسيوني، 2004 ص290)

المرحلة الأولى: "بدء التكوين"	يبدأ الأفراد بالتعرف على بعضهم البعض ومحاولة إنشاء قواعد تضبط الجماعة.
المرحلة الثانية: "الاضطراب والاختلاف"	يبدأ بعض الأعضاء في رفض سيطرة القائد ويبدون الشك نحو بعضهم.
المرحلة الثالثة: "تكوين المعايير"	يبدأ الأعضاء في العمل معا لتنمية علاقة قوية والشعور بالصداقة.
المرحلة الرابعة: "مرحلة الأداء"	يعمل أعضاء الجماعة للانتهاء من المطلوب منهم وتحقيق أهداف الجماعة.
المرحلة الخامسة: "التحلل"	ربما تنفك الجماعة بعد تحقيق أهدافها أو انسحاب الأعضاء.

2.4. نموذج تأكيد التوازن:

لا يوافق علماء الاجتماع على أن تكوين الجماعة يمر بمراحل الخمس المذكورة في النموذج السابق وفي الحقيقة فإن بعضهم يحاول مراحل متتالية تصدق في جميع حالات تكوين الجماعات ولكن هناك اتساق، واضح في كيفية تكوين وتغير الجماعات وتحديد هذه النماذج نظرية تأكيد التعادل ويتعرف هذا المجال لتفسير تكوين الجماعات بأن أعضاء الجماعة الذين يواجهون تاريخا محددا لانتهاء من العمل يتبعون مدخلا مختلفا في النصف الأول من مقابلاتهم عن المدخل الذين يتبعون في النصف الثاني من تلك المقابلات.

فخلال النصف الأول أو الطور الأول من المقابلات يحدد الأعضاء المطلوب منهم، ذلك المطلوب المتوقع أن لا يتغير حتى يأتي الطور التالي وحتى إذا كان لدى الأعضاء أفكارا جديدة فلا يمكنهم استخدامها في هذه المرحلة ومن المثير أنه متى وصلت الجماعة إلى منتصف حياتها بصرف النظر عما إذا كانتا مدة بقاء الجماعة عددا قليلا من الساعات أو عدة أشهر، فإن شيئا مثيرا يحدث وكما يتوقف المنبه فجأة، فإن الجماعة تواجه "أزمة منتصف الحياة " يحدث هذا في الوقت الذي يعرف قيد الأعضاء الجماعة أن عليهم أن يغيروا طريقة أدائهم للعمل إذا كان لهم أن يحققوا أهدافهم وهنا يبدأ الطور الثاني من أطوار تكوين الجماعة أو وجودها، وذلك عندما يتخلى أفرادها عن الطرق القديمة ويتبنوا أفكار جديدة وتقوم الجماعة بهذا الواجب الجديد حتى ينتهي الطور الثاني من أطوار نمو الجماعة عندا تتغير الجماعة وتوقف أداء الأنشطة التي تحتاجها انجاز أعمالها (رفاعي وبسيوني، 2004 ص292).

جدول رقم02: "نموذج تأكيد التوازن".(رفاعي وبسيوني، 2004 ص292)

وقت التعادل		وقت التغير	
تقوم الجماعة بعمل الخطط	تقوم الجماعة بالتغيير	إجراء التغيير في شكل النهائي	إنهاء انجاز العمل

وطبقا لهذا النموذج فان الجماعة تمر بطورين ينتهي الأول في منتصف الوقت المحدد لإنجاز الجماعة لأهدافها بدءا من وقت التقائهم معا. والنصف الأول هو وقت التعادل تقوم الجماعة من خلاله بوضع الخطة ولكنها لا تحقق القليل من المطلوب وخلال النصف الثاني تحدث الجماعة التغيير الذي يقود إلى تحقيق الجماعة لأهدافها في التاريخ المحدد وفكرة هذا النموذج واضحة مباشرة، ذلك أن الجماعة تنمي اتجاها يساعد في الاحتفاظ بحركتها، (ذلك يعتبر وضع تعادل) حتى تصل إلى منتصف الوقت، وهنا يدرك أفراد الجماعة أن نهاية الوقت تقترب

ويدفعهم هذا إلى مواجهة قضايا حاسمة ثم يبدؤون في إحداث التغير، وهنا يبدأ طور التأكيد، مرحلة جديدة من التعادل، وينتهي هذا الطور عندما تصل الجماعة إلى التاريخ المحدد لانتهائها من عملها.

وهناك نموذجين يركزان على العواطف لكي تتكون الجماعة:

4.3. نموذج التمثل الاجتماعي:

حيث فسر "فرويد" Freud العلاقة والصلة بين الفرد باستخدام مصطلح الليبيدو، والذي يمثل ويحدد العلاقات العاطفية في الجماعة. في الحشد المنظم يكون الزعيم مثالي إلى كل المنتميين إلى الجماعة، ويأخذ مكانة الأنا المثالي. وبالتالي العلاقة الاجتماعية تكون نتيجة ازدواجية التمثل، تكون عمودية بين الزعيم وأفراد الجماعة وأفقية بين أعضاء الجماعة.

4.3. نموذج التماسك الاجتماعي: بالنسبة لهذا النموذج "موريلند" Moreland, 1987,

: يشكل الأفراد جماعة لأنهم يشعرون بالانجذاب إلى بعضهم البعض، ومفهوم التلاحم أمر أساسي، فكلما كانت الجماعة متلاحمة أكثر كلما جذبت إليها العديد ممن يريدون الانضمام إليها (Gosling, 1996 p 37).